مروية عنه بالأسانيد الصحيحة الثابتة. وهذا مما أظهر القدح فيهم وشنّع الأمر لهم لأنهم إذا كانوا لم
يتركوه مثل هذه الأحاديث النبوية المتواترة الصريحة الصحيحة ويرغبون عن العمل بها مع علمهم بصحتها
وثبوتها عن رسول الله فما منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم إذن عندهم وما مكانة سنته في نفوسهم
؟ وأين يكون حبهم له وإيمانهم به ؟ وما عسى أن تكون حجتهم إذا قيل لهم لماذا تركتم أوامر نبيكم
ونواهيه ؟ وإذا كانت لا يراد العمل بها ولا القصد تنفيذها فلماذا قالها وخاطب الناس بها ولماذا نقلت عنه أحاديث
وهي متواترة ؟ ولماذا رواها المسلمون وحفظوها وحرصوا عليها وصححوها ووضعوها في كتب الإسلام ؟ فلا هذا السؤال
بلا أجوبة على هذا القول الذي حكاه المخالف. وسيجيء بيان أن المسلمين كانوا مجمعين على العمل بها بل
وإن كتب المذاهب مجمعة على الاعتراف بها في الجملة وإن اختلفوا هل النهي للتحريم أم للكراهة وإن الكراهة
إذا أطلقت كان المراد بها التحريم في كلام كثير من الناس ولا سيما في كلام الأولين: على أن أوامر الرسول ونواهيه
لا يصح تركها لأن أكثر المسلمين تركوها وتركوا العمل بها لو كان هذا صحيحا أخطأ الافتراضية [مشطوب] لا يكون
هذا القدح مقبولا ولا مرضيا. ثم قال المخالف ثالثا: ومنها - أي من المقادح في دلالة الأحاديث -
أنها مضطربة.... وقد ذكر وجه اضطرابها عنده وهو أنه قد ذكر في بعض الروايات النهي عن التجصيص
فقط وفي بعضها النهي عن الكتابة فقط وفي بعضها النهي عن أشياء معا وفي بعضها النهي عن الكتابة
والتجصيص والوطء وفي بعضها والزيادة عليها... ثم تارة عبرت بالنهي عن القعود وتارة بالنهي
عن الجلوس وتارة بالنهي عن الوطء فقال والقعود لا يخلو من إجمال... هذا هو ما ذكره من اضطرابها
القاضي لعدم تأكيدها وردها وهجرانها... وهذا القدح لو كان صحيحا وقادحا لقضى برد جميع الأخبار
والروايات في الدنيا على اختلاف أغراضها ومقاصدها وذلك لأنه من شيء من الأشياء يحدث عنه
ويروى [مشطوب] بالأخبار الكثيرة المتعددة إلا ويقع فيه مثل هذا الذي سماه المخالف اضطرابا
[مشطوب] موجبا اطراح المروي الرواية عنده. وانظر إلى أعظم الأخبار المروية في أعظم الأمور
والأحداث سواء أكانت دينية أم تاريخية تجد فيها مثل هذا الذي دعاه المخالف اضطرابا
فخذ أخبار الصلاة [مشطوب] وصفاتها وهيئاتها مثل هذا الاضطراب وفي أخبار [مشطوب] الحج والصيام
والأذان وسائر العبادات مثل هذه الاضطرابات بل أكثر وأظهر وأشد بل في كل أعمال [مشطوب]
الرسول وأحداث الإسلام مثل هذا الذي سماه المخالف اضطرابا... وما كان أحد من أهل العلم يعرف
أنه [مشطوب] الروايات ترد وتكذب من أجل أنه وقع فيها مثل هذا... وهذا الذي جعله المخالف
اضطرابا ليس اضطرابا يقينا بل لا يعدو المتحدثين بأحد ألفاظ الحديث على حسب الحاجة والحادثة التي
سمعها المخبر من أجلها [مشطوب] فالرسول عليه السلام
قد نهى عن الأمور المذكورة كلها: عن البناء وعن الزيادة وهي كالبناء، وعن الكتابة وعن التجصيص
وعن الوطء والجلوس الذي هو كالقعود وزنا ومعنى. ثم الراوي بعد ذلك قد لا يحفظ كل ألفاظ الرسول
وقد يحفظ بعضها ولا يرد ما حفظ لأجل ما نسي بالإجماع. وهو هنا محفوظ كله مروي كله وكلمة الراوي
قد يحدث بالنهي عن الكتابة أو عن الزيادة أو عن البناء أو عن التجصيص أو عن القعود والجلوس أو عن
جملة من هذه الأمور لأن الأمر الذي ساق الحديث من أجله كان يستدعي أحد الألفاظ كما يقتضي الاستدلال
له فرأى الاقتصار على ما دعت الحاجة إليه مثل أنه يرى الراوي كتابة على قبر فيقول لأن الرسول
قد نهى عن الكتابة على القبر أو يرى بناء فيقول لأن الرسول نهى عن البناء أو يرى من يمشي على
القبور فيقول لأن الرسول نهى عن ذلك أو يرى غيره فيذكر ما يخصه من الحديث ولا يذكر
الحديث كله... وقد يحدث بالحديث كله لأنه يريد نشر العلم النبوي على من يحفظه ويبلغه من
الناس... ولكن أي شيء من هذا يجعل يوجب اطراح الأخبار والروايات بلا شك؟... وثم شيء آخر
يجب ذكره وعرفانه ذلك أن المحدثين حافظي الحديث من أصحاب الكتب الذين رووه
وخرجوه في كتبهم قد يختارون تقطيع الحديث وتجزئته على عدد الأبواب التي
يضعها بعدد الأغراض والأحكام التي في الحديث فيضع بابا للنهي عن الكتابة فيذكر
لفظ النهي عن الكتابة دون سواها ويضع بابا آخر للنهي عن البناء فيذكر لفظ النهي
عن البناء دون غيره ويضع بابا للنهي عن الوطء والجلوس فيذكر لفظ النهي عنه دون
ألفاظ الحديث الأخرى... فيذكر الحديث كله مقطعا مجزأ وهو عنده وفي حفظهم خبر